العالم خارج الغرب: آفاق السياسة الخارجية في الهند وجنوب إفريقيا وتركيا

The World Beyond the West: Foreign Policy Prospects in India, South Africa, and Turkey

Author: Mehmet Özkan

تحرير: محمد أوزكان

Publisher: Kadim, Istanbul, 2025

الناشر: قديم ياينلري: إسطنبول، 2025

Reviewed by: Mehmet Rakipoğlu

مراجعة: محمد رقيب أوغلو

Pages: 304

عدد الصفحات: 304

يهدف كتاب الأستاذ الدكتور محمد أوزكان بعنوان «العالم خارج الغرب: آفاق السياسة الخارجية في الهند وجنوب إفريقيا وتركيا» إلى توفير منظور جديد يتجاوز النظرة الغربية المركزية في مجال العلاقات الدولية. يتناول الكتاب موضوع أفق السياسة الخارجية لثلاث قوى صاعدة غير غربية، هي: الهند وجنوب إفريقيا وتركيا؛ أي يتنازل نظرتها إلى العالم، وطرقها في تطوير السياسة، من خلال فهم السياق الثقافي والتاريخي. بالنظر إلى أن تحليلات السياسة الخارجية التقليدية تركز عادةً على العوامل المادية، مثل المصالح الاقتصادية وتوازن القوى العسكرية- فإن عمل أوزكان يتّسم بالأصالة من حيث تجاوزه لهذا النهج، وتركيزه على العوامل غير المرئية، لكنها حاسمة مثل الدين والثقافة والتراث التاريخي. يحاول المؤلف في هذا الكتاب إظهار تأثيرات تصورات القوى الصاعدة عن ذاتها، وتصوراتها الإستراتيجية- في النظام العالمي، ويدعو إلى إعادة قراءة السياسة الدولية من منظور مختلف. ومن هنا، فإن كتاب «العالم خارج الغرب» عمل مبتكر، يهدف إلى سدّ فجوة مهمّة في الأدبيات من خلال دراسة كيفية تصور الدول التي يتناولها للسياسة الخارجية من منظور قيمها الخاصة.

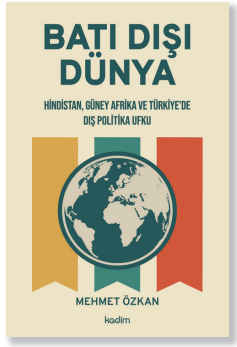

تركز الأسئلة البحثية الأساسية للعمل على العقلية التي توجه السياسة الخارجية للبلدان غير الغربية، وكيف تنعكس هذه العقلية على مواقعها في النظام الدولي. يشير المؤلف بمفهوم «عقلية السياسة الخارجية» إلى التراكم الأيديولوجي والثقافي العميق الذي يشكّل فهم الدول للسياسة الخارجية، ويحاول فهم الطرق التي تدرك بها الجهات الفاعلة غير الغربية العالم. وفي هذا السياق، يبتعد المؤلف من الناحية النظرية عن النظريات الغربية الكلاسيكية مثل الواقعية والليبرالية، ويركز على النهج البنائي الذي يؤكد أن عوامل مثل الهوية والتاريخ والمعتقدات تحدّد سلوك الدول. بعبارة أخرى، يدافع المؤلف

DOI:

عن فكرة أن العوامل الثقافية والأيديولوجية تؤثر في السياسة الخارجية بقدر تأثير القوة الاقتصادية والعسكرية. يوضح المؤلف في كل دراسة حالة كيف شكّلت التجربة التاريخية للبلد المعني (الاستعمار، الإرث الإمبراطوري، فترة ما بعد الفصل العنصري... إلخ) وقيمه الثقافية الفريدة خياراته في السياسة الخارجية. يضيف هذا النهج بعدًا ثقافيًّا استراتيجيًّا إلى تحليل السياسة الخارجية، ويركز على الديناميات الفكرية والقيمية بدلاً من توازن القوى. من الناحية المنهجية، يقدم الكتاب مقارنة نوعية بين ثلاث دول؛ ويهدف المؤلف إلى الكشف عن الرموز الثقافية في خطاب السياسة الخارجية لهذه الدول من خلال تحليل البيانات التاريخية والخطاب السياسي.

في الفصل الأول من الكتاب، يناقش المؤلف تحوّل القوة في النظام العالمي في القرن الحادي والعشرين، ومعنى مفهوم «العالم غير الغربي». ويشير هذا الجزء إلى ضعف المكانة التقليدية للغرب في الهيمنة، وفي المقابل، إلى ظهور لاعبين مثل الهند وتركيا وجنوب إفريقيا بشكل أكثر وضوحًا في القضايا العالمية. يؤكد أوزكان أن الغرب فقد تفوّقه العسكري والاقتصادي، فضلاً عن قوته الناعمة وسمعته، ويشير إلى أن النظام الدولي يتحول تدريجيًّا إلى بنية متعددة المراكز. في هذا السياق، يرى المؤلف أن الفاعلين غير الغربيين ليسوا مجرّد متفرجين سلبيين، بل لديهم القدرة على تشكيل المعايير العالمية من خلال تجاربهم التاريخية وأفكارهم. يقدم هذا الفصل نظرة نقدية للنظام العالمي الحالي، ويكشف عن نقاط الضعف في التحليلات التي تركز على الغرب، ويهيئ الأرضية لفرضية الدراسة الأساسية. ومع ذلك، فإنه يمكن انتقاده من الناحية النظرية؛ لعدم إيلائه اهتمامًا كافيًا بالتنوع الداخلي في العالم غير الغربي، في حين يركز على ثنائية «الغرب» و«غير الغرب». ومع ذلك، فإن الفصل الأول يطرح بوضوح القضية الأساسية للكتاب، ويهيئ القارئ للمناقشة الرئيسة.

في الفصل الثاني، يعمّق أوزكان الإطار النظري من خلال مناقشة مكونات عقلية السياسة الخارجية بالتفصيل. يشرح المؤلف، باستخدام أمثلة، دور المصالح المادية إلى جانب الذاتية (الهوية) وعالم القيم في سلوك الدول في السياسة الخارجية، ويقارن بين انعكاسات عناصر مثل الوعي الحضاري القديم للهند، والبحث عن الهوية الوطنية في جنوب إفريقيا بعد انتهاء الفصل العنصري، والتراث العثماني في تركيا على رؤى السياسة الخارجية. وبتأكيد أن الدين والثقافة والأيديولوجية هي «المرشدون الخفيون» للسياسة الخارجية، يتبنى المؤلف منظورًا قريبًا من نهج الثقافة الإستراتيجية في الأدبيات. وبالفعل، يقدّم أمثلة على أن رؤية الهند لنفسها كحضارة عظيمة تشجع على اتباع نهج متعدد الأطراف ومستقل؛ وأن مُثُل «النهضة الإفريقية» في جنوب إفريقيا تغذّي سياسات حقوق الإنسان والتعاون الإقليمي؛ وأن رؤية «العمق الاستراتيجي» في تركيا تسهّل الانفتاح على المناطق ما بعد العثمانية. يدعم الفصل حجته النظرية بأمثلة ملموسة، وهذا يوفّر للقارئ إطارًا مفاهيميًّا قويًّا. ومن الناحية المنهجية، تجدر الإشارة إلى أنه قد يكون من المفيد إظهار تأثير المتغيرات الثقافية والأيديولوجية على قرارات السياسة الخارجية بمؤشرات أكثر واقعية. ومع ذلك، فإن الفصل الثاني يعزّز الهيكل النظري

للكتاب، ويوفر أساسًا قويًّا لدراسات الحالة التالية.

يقدّم الفصل الثالث أوّل تحليل للحالة من خلال دراسة متعمقة لأفق السياسة الخارجية الهندية. يزعم المؤلف أن الهند طوّرت ثقافة إستراتيجية فريدة تمزج بين الهوية الحضارية القديمة ومصالح الدولة القومية الحديثة في سياستها الخارجية. يسترعي أوزكان الانتباه إلى إرث المثل العليا المناهضة للإمبريالية التي شكلتها سياسة عدم الانحياز التي اتبعها جواهر لال نهرو بعد الاستقلال، ويناقش أيضًا تأثير صعود القومية الهندوسية (هندوتفا) في خطاب الدبلوماسية في الهند اليوم. ويشير الكاتب إلى أن الهند تضع نفسها في موقع «حضارة قديمة وأكبر ديمقراطية في العالم» وتتصرف باعتبارها سلطة أخلاقية في الدبلوماسية العالمية، ويؤكد أن البلاد تسعى إلى أن تكون صوت العالم في المنصات المتعددة الأطراف، بينما تحاول في الوقت نفسه إسباغ الشرعية على خطواتها الأمنية، مثل تطوير الأسلحة النووية أو التنافس مع الصين، من خلال هذا الخطاب الحضاري. يُسلط هذا الفصل الضوء على التوتر بين المثل الديمقراطية للبلاد واحتياجاتها الواقعية. ومع ذلك، كان من الممكن دراسة تأثير الدين (الخطاب السلمي للهندوسية وتركيز هندوتفا على القوة) في السياسة الخارجية بشكل أعمق في حالة الهند. ومع ذلك، ينجح المؤلف في تجاوز الصور النمطية الغربية عن الهند من خلال تحليله الناجح لعقلية السياسة الخارجية الهندية في سياق طموحات القوة الكبرى، والحساسية ما بعد الاستعمارية.

يتناول الفصل الرابع أفق السياسة الخارجية لجمهورية جنوب إفريقيا. يؤكد أوزكان أن الانتقال من نظام الفصل العنصري إلى الديمقراطية غيّر هوية البلاد وأهدافها الدولية بشكل جذري، ويشرح بالتفصيل جهود جنوب إفريقيا بعد نيلسون مانديلا في تولي مهمة «القيادة الأخلاقية»، والدفاع عن حقوق الإنسان في السياسة الخارجية. ويشير المؤلف إلى مكانة فلسفة أوبونتو، ومُثُل «النهضة الإفريقية» في الخطاب الدبلوماسي، ويؤكد أن هذه القيم الثقافية كانت دافعًا لجهود السلام والتوافق في القارة الإفريقية. كما يوضح أن جنوب إفريقيا تعدّ نفسها جزءًا من «الجنوب العالمي»، وتتبنى التعاون المتعدد الأطراف على المنصات الدولية. ويقيّم الفصل خطاب إدارة بريتوريا المتمحور حول القيم الديمقراطية والحقوق في سياق علاقاتها البراغماتية مع الصين وروسيا، ويبرز سعيها إلى تحقيق التوازن بين المثل العليا والمصالح. من الناحية النقدية، يمكن الإشارة إلى أن تأثير الديناميات السياسية الداخلية (مثل أيديولوجية حزب المؤتمر الوطني الإفريقي) في السياسة الخارجية- لم يجر التطرق إليه بشكل كافٍ في مثال جنوب إفريقيا. في المقابل، يحلّل الفصل الرابع بوضوح الدور الذي تسعى جنوب إفريقيا إلى القيام به على الساحة الدولية بصفتها لاعبًا غير غربي، وينجح في عكس منظور جغرافي مختلف.

خصص الكاتب الفصل الخامس لآفاق السياسة الخارجية لتركيا، ويبرز هذا الفصل بوصفه المثال الأكثر شمولاً الذي تناوله المؤلف. في هذا الجزء، يجري تحليل الانتقال من توجه تركيا المبكر نحو الغرب إلى رؤيتها الجديدة التي ظهرت في القرن الحادي والعشرين، من خلال نهج قائم على الهوية. يقيّم أوزكان، على وجه الخصوص، مبدأ

«العمق الإستراتيجي» وسياسات الانفتاح على العالم الإسلامي بعد عام 2000، بوصف ذلك أمثلة ملموسة على جهود تركيا لتحويل تراثها التاريخي والثقافي إلى أداة للسياسة الخارجية. ويؤكد المؤلف أن تركيا تستخدم قربها الثقافي القائم على التراث العثماني عنصرًا من عناصر القوة الناعمة في سياستها الخارجية، لكنها تحافظ على علاقاتها مع الغرب بوصفها حليفًا في حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وتحرص على تحقيق التوازن. وقد يؤدي هذا التوجه المزدوج إلى حدوث تناقضات من حين لآخر عندما يتعارض الخطاب المثالي مع المصالح الجيوسياسية. من وجهة نظر نقدية، يمكن القول: إن المؤلف في الفصل الخاص بتركيا يفسّر السياسة الخارجية إلى حد كبير من منظور معاصر (فترة حزب العدالة والتنمية)، ويولي اهتمامًا محدودًا بالمصالح الاقتصادية ودور البيروقراطية الدبلوماسية. ومع ذلك، فقد رُسِمت صورة شاملة عن عقلية تركيا في مجال السياسة الخارجية في هذا الفصل؛ وممَا يجدر بالذكر نجاح البلاد في التوفيق بين التناقضات بين الشرق والغرب والعلمانية والإسلام.

يتناول الفصل السادس النتائج المستخلصة من دراسات الحالة على نطاق أوسع، ويناقش تأثيرات المنظور غير الغربي في النظام العالمي. يؤكد أوزكان، من خلال القواسم المشتركة التي استخلصها من أمثلة الهند وجنوب إفريقيا وتركيا- سعيَ القوى الصاعدة إلى عكس قيمها في المعايير الدولية بثقة متزايدة. ويشير الكاتب إلى أن هذه البلدان الثلاثة تتفق في سعيها إلى إقامة «نظام عادل» مستمد من تجاربها التاريخية، ويدافع عن فكرة أن الهياكل الحالية للحوكمة العالمية ليست شاملة بما يكفي لمتطلبات هذه الأطراف الفاعلة. ووفقًا لأوزكان، فإن نقاط التركيز في كل من هذه البلدان الثلاثة (التعددية في الهند، والنهج المساواوي في جنوب إفريقيا، والحوار بين الحضارات والتعددية في تركيا)، على الرغم من اختلاف أصولها- تشكل معًا نموذجًا سياسيًّا قائمًا على القوة الفكرية يتحدى الوضع الراهن المتمركز حول الغرب. يعزّز هذا الفصل الإطار النظري، ويطرح ادعاء القوى الصاعدة بتشكيل السياسة العالمية من خلال قوتها الاقتصادية وخطابها المعياري. من منظور نقدي، قد يظل تعميم النتائج المستخلصة من ثلاثة بلدان نموذجية موضع جدل؛ لأن النظر إلى «العالم غير الغربي» بوصفه كتلة واحدة ينطوي على خطر تجاهل الأولويات المختلفة لجهات فاعلة أخرى، مثل الصين أو البرازيل. على الرغم من ذلك، فإن الفصل السادس يجمع نتائج الكتاب بشكل متكامل، ويجعل أطروحته الرئيسة مفهومة في سياق السياسة العالمية، ويتيح للقارئ فرصة للتفكير في تصور مختلف للمستقبل.

يتضمن الفصل السابع الأخير التقييم العام للكتاب ونتائجه. في هذا الجزء، يلخّص أوزكان الدروس التي جلبها منظور العالم غير الغربي إلى أدبيات العلاقات الدولية وممارسات الدبلوماسية، ويُبرز الفكرة الرئيسة للعمل، وهي أن ما يحدد مسار العالم هو أفكار من يقوده لا من يقوده؛ ويوضح المؤلف هذه النقطة من خلال أمثلة الهند وجنوب إفريقيا وتركيا، ويلفت الانتباه إلى مكانة المثل العليا في الصراع العالمي على القوة. في الفصل الأخير، يدعو المؤلف الأوساط الأكاديمية إلى توسيع الأطر النظرية الحالية وإدراج تجارب الفاعلين غير الغربيين

في النظرية، بينما يقترح على صانعي السياسات أخذ خطاب هذه البلدان على محمل الجد، ومراعاة حساسياتها الثقافية. أسلوب الكاتب في الجزء الختامي جريء وموسِّع للأفق؛ فهو يستلهم من الهند وجنوب إفريقيا وتركيا ليقدم صورة بديلة للأفق العالمي تجمع بين التفكير المتعدد الأقطاب والدبلوماسية الإنسانية ومبادئ السياسة الخارجية المتعددة الأوجه. يمكن انتقاد الجزء الختامي بأنه قصير نسبيًّا مقارنة بثراء المناقشات السابقة، وأن بعض الاقتراحات بقيت على مستوى عام. ومع ذلك، يقدّم الفصل السابع خاتمة قوية تعزّز الحجة الرئيسة للعمل، وتذكّر القارئ بالصورة الكبيرة؛ حيث ينقل بوضوح رسالة مفادها أن منظورًا مختلفًا للسياسة الدولية ممكن من منظور غير غربي.

من الناحية النظرية والمنهجية، تجدر الإشارة إلى أن هناك بعض القيود على كتاب «العالم غير الغربي»، منها: أولاً، إن دراسة ظاهرة «العالم غير الغربي» من خلال ثلاثة أمثلة فقط من البلدان يجعل من الصعب التعميم؛ وعدم الإشارة إلى قوى صاعدة أخرى مثل الصين أو البرازيل- قد يحدّ من عالمية المنظور المطروح. ثانيًا، إن إعطاء الأولوية للعوامل الثقافية والأيديولوجية يضع في الخلفية دور المصالح الاقتصادية والجيوسياسية في سلوك هذه البلدان في مجال السياسة الخارجية؛ على الرغم من أن التوتر بين المثل والمصالح قد جرى تناوله في بعض الأماكن، إلا أنه يمكن القول: إن دور العوامل المادية لم تُناقَش بشكل كافٍ. ثالثًا، إن المنهج النوعي والوصفي الذي اتبعه المؤلف يحدّ من دعم الحقائق المطروحة بالبيانات الرقمية، فعلى الرغم من تقديم روايات قوية عن خطاب السياسة الخارجية، إلا أن تعزيز العلاقة بين هذا الخطاب والنتائج السياسية الملموسة بمؤشرات أكثر موضوعية- كان من شأنه أن يعزّز نتائج الكتاب. هذه الانتقادات لا تقلّل من قيمة العمل، بل تشير إلى إمكانية تعميق النقاش الذي فتحه المؤلف في المستقبل.

من وجهة نظر نقدية، يمكن القول: إن المؤلف في الفصل الخاص بتركيا يفسّر السياسة الخارجية إلى حدّ كبير من منظور معاصر (فترة حزب العدالة والتنمية)، ويولي اهتمامًا محدودًا بالمصالح الاقتصادية ودور البيروقراطية الدبلوماسية. ومع ذلك، فقد رُسِمت صورة شاملة عن عقلية تركيا في مجال السياسة الخارجية في هذا الفصل؛ ومِمّا يجدر بالذكر نجاح البلاد في التوفيق بين التناقضات بين الشرق والغرب والعلمانية والإسلام.

الكلمة لكم

لن نتخل عن نقل الحقيقة، الحقيقة فقط،
بأمانة وبصوتكم. أينما كنتم في العالم،
هذا الميكروفون ملكٌ لكم

TURKUVAZ
MEDYA GRUBU

SABAH